تنقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن امه واخذ يعقوب على اثره واخذ بعقبه قال ابن عباس
وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهودا
وريالون ويشجر وداد ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال
يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اي اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اي مومنون مخلصون
والمعنى دوموا على اسلامكم حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون اي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه
ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بربه اخرجاه في الصحيحين قوله عز وجل ام كنتم شهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي
ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت اي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لانهم لما
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية
تكذيبا لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت اي انكم لم تحضروا ذلك فلا
تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما بعثت خليلي ابراهيم وولده
واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال
تعالى اذ قال يعني يعقوب لبنيه يعني اولاده الاثني عشر ما تعبدون اي اي شيء تعبدون من بعدي
قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب وكان قد راى اهل مصر
يعبدون الاوثان والنيران فقال انظروني حتى اسال ولدي واوصيهم فامهله فجمع ولده وولد ولده
وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق
انما قدم اسماعيل لانه كان اكبر من اسحاق وادخله في جملة الابا وان كان عما لهم لان العرب تسمي العم
ابا كما تسمي الخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا
علي ابي الها واحدا ونحن له مسلمون اي مخلصون العبودية تلك اشارة الى الامة المذكورة يعني
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وولدهم امة قد خلت اي مضت لسبيلها والمعنى يا معشر
اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق والمسلمين منا ولا دهم ولا تنقولوا فيهم
ما ليس فيهم لها ما كسبت يعني من العمل ولكم اي يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اي من العمل
ولا تسالون عما كانوا يعملون يعني كل فريق يسال عن عمله لا عن عمل غيره قوله عز وجل وقالوا
كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت في رؤسا اليهود كعب بن الاشرف ومالك
ابن الصيف ووهب بن يهودا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما
وذلك انهم خاصموا المومنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا
موسى افضل الانبيا وكتابنا التورية افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد
والقران وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمومنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك
فانزل الله عز وجل قل يعني يا محمد بل ملة ابراهيم يعني اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم
لانه مجمع على فضله حنيفا اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف
المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر • ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا عن كل دين •
والعرب تسمي كل من حج او اختتن حنيفا على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة
المناسك مسلما يعني ان الحنيفية هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه السلام وما كان

من

من المشركين يعني ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم
وهو على الشرك ثم علم المومنين طريق الايمان فقال تعالى قولوا امنا بالله يعني قولوا ايها المومنون
لهولا اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا امنا بالله اي صدقنا
بالله وما انزل الينا يعني القران وما انزل الى ابراهيم اي وامنا بما انزل الى ابراهيم وهو عشر صحائف
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط
وكانوا انبيا وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسماعيل وكان في
الاسباط انبيا وما اوتي موسى يعني التورية وعيسى يعني الانجيل وما اوتي النبيون من ربهم
والمعنى امنا ايضا بالتورية والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق
وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكره الله من انبيائه كانوا على هدى وحق لا نفرق
بين احد منهم اي لا نومن ببعض الانبيا ونكفر ببعض كما تبرات اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم واقرت ببعض الانبيا وكما تبرات النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض
بل نومن بكل الانبيا وان جميعهم كانوا على هدى وحق ونحن له مسلمون اي ونحن لله تعالى خاضعين
اي بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرون التورية
بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية قوله عز وجل فان امنوا يعني
اليهود والنصارى بمثل ما امنتم به اي بما امنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شي وقيل
ان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا والمعنى ان حصلوا دينا اخر يساوي
هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتدا بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار
بكل الانبيا وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا
اي اعرضوا فانما هم في شقاق اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال
واصله من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل
واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويوذيه فسيكفيكهم الله اي يكفيك الله يا محمد شر
اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشي
انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بني
قريظة وسبيهم واجلا بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وهو السميع لاقوالهم
العليم باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون به من الحسد والغل وهو مجازيهم
ومعاقبهم عليه قوله عز وجل صبغة الله قال ابن عباس دين الله وانما سماه صبغة لان اثر
الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل
اراد به الختان لانه يصبغ على المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود
واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يسمونه المعمودية وصبغوه به ليطهروه به
مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الان صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام
لا ما تفعله النصارى ومن احسن من الله صبغة اي دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر ونحن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)